الدرس8: أنطوان غالان وترجمة ألف ليلة وليلة **الأستاذة: نور الهدى غرابة**

الفوج: الثاني

السنة: ثالثة ليسانس تخصص: أدب عربي.

يُمثِّل أنطوان غالان (Antoine Galland) (1646–1715) نقطة تحوّل محورية في تاريخ التبادل الثقافي بين الشرق الإسلامي وأوروبا. لم يكن غالان مجرد مُترجِم عابر، بل كان مستشرقاً، جامعاً للتحف والنقوش، وعالماً بالمخطوطات، ومُبتَكِراً أدبياً بلا قصد. يُنسب إليه الفضل التاريخي في تعريف القارئ الأوروبي، ومن ثم العالمي، على كنز من الحكايات الشعبية العربية والفارسية والهندية تحت عنوان "ألف ليلة وليلة". ترجمته الفرنسية التي صدرت بين عامي 1704 و1717، لم تكن نقلاً حرفياً فحسب، بل كانت عملية إعادة صياغة و"توليف" ثقافي أنتج نصاً هجيناً، خلق صورة "الشرق" في الخيال الغربي الحديث وفتح آفاقاً جديدة للأدب العالمي. يهدف هذا البحث إلى تسليط الضوء على شخصية أنطوان غالان متعددة الأبعاد، وفحص طبيعة مشروعه الترجمي، وتحليل التأثير الهائل الذي أحدثه هذا العمل في الثقافة الأوروبية، مع مناقشة الإشكاليات النقدية التي أحاطت به، خاصة فيما يتعلق بقضية الأصالة والانزياح الثقافي.[1]

كان غالان مثقفاً من عصر التنوير المبكر، يجمع بين فضول العالم الأنثروبولوجي ودقة اللغوي. لم يكن اهتمامه بالأدب الشعبي منعزلاً عن نشاطه الأكاديمي الأوسع؛ فقد نشر أعمالاً تاريخية وترجمات لمخطوطات نادرة، مثل "كتاب الذياب والعنقاء والسمندل". إلا أن لقاءه بمخطوط "ألف ليلة وليلة" (ربما النسخة السورية الجزئية التي تعود للقرن الرابع عشر أو الخامس عشر) شكّل منعطفاً. بدأ ترجمتها كنوع من التسلية والاستراحة من أعماله الجادة، ونشر أول مجلدين عام 1704 دون توقعات كبيرة. لكن النجاح الساحق الذي لاقاه دفعه إلى المواصلة، مما وضعه أمام معضلة نفاد مادته الأصلية، فاضطر إلى البحث عن مصادر جديدة وربما ابتداع بعض الحكايات بنفسه[2].

---

[1] إبراهيم الحاوي: ألف ليلة وليلة حسب طبعة بولاق. بيروت، لبنان: دار صادر، بدون طبعة، 1992م، ص 6

[2] إيفيلين ساركيز: أنطوان غالان: مترجم ألف ليلة وليلة. باريس، فرنسا: دار أونوريه شامبيون، الطبعة الأولى، 2015م، ص 5

لم تكن ترجمة غالان عملاً محايداً، بل كانت مشروعاً ثقافياً مُتأثراً بذوق عصره (عصر لويس الرابع عشر) وأيديولوجيته. يمكن تلخيص منهجه في النقاط التالية:

1. الانزياح نحو الذوق الكلاسيكي الفرنسي: قام غالان بتليين النص الأصلي وتنقيحه ليلائم أذواق النخبة الأرستقراطية والبرجوازية الفرنسية. فقد حذف الكثير من الأشعار (التي اعتبرها تعيق السياق السردي)، وخفف من اللهجة الجنسية المباشرة في بعض الحكايات، وبلور الأسلوب لجعله سلساً وأنيقاً وفق معايير الأدب الفرنسي الكلاسيكي.

2. التركيز على الحبكة والإثارة: ركز على الجانب القصصي والمغامرات الخيالية (مثل رحلات السندباد، وقصة علاء الدين والمصباح السحري)، مما جعل العمل يقرأ كرواية مغامرات متسلسلة، بعيداً عن الإطارات المبتذلة والأجواء الشعبوية في بعض نسخ المخطوطات العربية.

3. إضافة حكايات من مصادر شفوية وغير عربية: أشهر إضافات غالان هي الحكايات التي تعتبر اليوم جوهر "الليالي" في المخيال الغربي، ولكنها غير موجودة في أي مخطوطة عربية قديمة، وهي: "علاء الدين والمصباح السحري"، و"علي بابا والأربعين حرامي"، و"الأمير أحمد وطائر الفينيق". يُعتقد أن غالان سمع هذه الحكايات من راوٍ ماروني حلبّي يُدعى "حنا دياب"، وقام بصياغتها بأسلوبه. كما دمج حكايات من أصول فارسية وهندية موجودة في إطار العمل.

4. بناء صورة شرقية ساحرة وغريبة: ساهم أسلوب غالان في ترسيخ صورة "الشرق" كمكان للبذخ والسحر والغرابة والاستبداد العادل أحياناً، وهو شرق مُتخيَّل ومُسطَّح يناسب أحلام اليقظة الأوروبية أكثر مما يعكس الواقع المعقد للمجتمعات الإسلامية.

وهكذا، خلقت ترجمة غالان نسخة موازية لـ"ألف ليلة وليلة" أصبحت هي النسخة "الأصلية" بالنسبة للقارئ الأوروبي، قبل أن يكتشف المستشرقون اللاحقون الفجوة بينها وبين المخطوطات العربية.[3]

كان تأثير ترجمة غالان عابراً للقوميات ومزلزلاً للمشهد الأدبي والفني:

[3]محسن عبيد: ألف ليلة وليلة بين الرصيد الشرقي والتلقي الغربي. تونس، تونس: دار محمد علي الحامي، الطبعة الأولى، 2002م، ص 15

1. الرواج الأدبي والترجمات اللاحقة: لاقت "الليالي" الفرنسية نجاحاً منقطع النظير، وأعيد طبعها مراراً. وسرعان ما تُرجمت منها نسخ إلى الإنجليزية والألمانية والإيطالية وغيرها. معظم الترجمات الأوروبية في القرن الثامن عشر اعتمدت على نسخة غالان وليس على النص العربي.

2. إلهام الأدباء والفلاسفة: ألهمت الكتاب الرومانسيين والرمزين في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر. تأثر بها فولتير وديدرو، واعتبروها نقداً اجتماعياً وسياسياً مقنعاً. واستلهم منها غوته في "الديوان الشرقي للمؤلف الغربي"، وكولريدج في "قصة الرحلة القديم". كما أثرت في شعراء مثل تينيسون وبيتس.

3. تشكيل الصورة الاستشراقية: أصبحت حكايات "الليالي" المادة الخام الأساسية للاستشراق الفني والأدبي، حيث غذت خيال الرسامين (مثل إنجرس وديلاكروا) والموسيقيين (مثل ريمسكي-كورساكوف في "شهرزاد").

4. تأثيرها على جنس أدبي جديد: يُنظر إلى "الليالي" كأحد الجذور البعيدة للرواية الحديثة، من خلال إطارها القصصي (حكي داخل حكي)، وبنيتها المتراكبة، وتحررها من قيود الزمان والمكان الواقعي.[4]

كان تأثير ترجمة غالان بمثابة نقطة تحول فارقة في المشهد الأدبي والفني، إذ تجاوزت أصداؤها حدود الزمان والمكان لتصبح إحدى التجارب الثقافية العابرة للقوميات التي أعادت تشكيل مفاهيم الإبداع والتواصل الثقافي بين الشعوب. لم تكن ترجمة أعماله مجرد نقل للنصوص من لغة إلى أخرى، بل كانت انعكاسًا لروح جديدة تجمع بين أصالة الفكرة وجمال التعبير، مما جعلها مرآة حية للتفاعل الحضاري. وقد مثّلت هذه الترجمة صدمة إيجابية للوعي الأدبي والفني، مُرسِّخة أهمية الترجمة كجسر أساسي يعبر من خلاله الفكر والمعرفة إلى آفاق واسعة تتخطى الحدود الجغرافية والثقافية. بذلك، اكتسبت هذه الجهود أبعادًا عميقة أثرت بشكل جذري على توجهات الأدب والفنون فترة طويلة واستمرت قطوفها تؤتي أكلها للأجيال اللاحقة.

[4] غانية بنعبد الله: صورة الشرق في أدب الرحلة الفرنسي خلال القرن الثامن عشر. الجزائر العاصمة، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، الطبعة الأولى، 2010م، ص 20

خاتمة:

أنطوان غالان يُعَدُّ أحد أبرز الشخصيات التي ساهمت في نشر التراث الشرقي في أوروبا خلال العصور الماضية، وهو مستشرق فرنسي اشتهر بترجمته لأحد أعظم الأعمال الأدبية الشرقية، مجموعة "ألف ليلة وليلة"، إلى اللغة الفرنسية. لم تكن هذه الترجمة مجرد نقلٍ حرفي للنصوص، بل كانت عملاً إبداعيًا أثَّر بعمق في تشكيل صورة الشرق في المخيلة الأوروبية. بفضل هذا الجهد، انفتح الأفق أمام القراء الغربيين لاكتشاف عوالم مليئة بالسحر والحكايات والأساطير التي تحمل في طياتها لمحاتٍ من تاريخ وثقافة شعوب المنطقة. كما يُقال إن جهود غالان في الترجمة ودراساته المتعلقة بالثقافة العربية والإسلامية قد أسهمت في تعزيز الاهتمام الأكاديمي بالاستشراق كمجال معرفي يسعى لفهم الشرق من الداخل وتحليل إنتاجه الثقافي والحضاري. لقد تركت هذه التقاليد الأدبية التي ترجمها وتأثر بها أثرًا طويل الأمد، بحيث باتت جزءًا لا يتجزأ من الإرث الثقافي المشترك بين الشرق والغرب.